

# تصميم للسفر الجزائري الحديث

## بقلم أستاذنا محمد

تمهيد

يخطيء من يظن أن مظاهر العروبة قد اختفت من الجزائر ، وأكثر من هذا خطأ أولئك الذين يحسبون أن لا شعر ولا شعراء على ضفاف المتوسط ومروج الاطلس وأن الارض الجزائرية التي تنافس أوروبا في جمالها وروعيتها قد عمقت فلم تنجب أكثر من ( المقرئ ) و ( ابن خميس ) ولم تمنح العروبة سوى روافد من بجاية وتلمسان وقسنطينة ..

يخطيء هؤلاء وأولئك في هذا الظن لأن الجزائر العربية ما تزال بخير وما تزال وديانها وجبالها ودروبها تضيء بالعبقرية وتبعث المواهب وتنتج الشاعرية وتزف الى الأدب العربي كل حين معطيات جديدة ..

وعندي أن الذي ساعد على هذا الخطأ ووسع من مجاله يعود أولا الى انقطاع الجزائر لظروف القاهرة عن شقيقاتها العربية ويعود ثانيا الى رضى المفكرين العرب بهذا الانقطاع حتى تصوره امرا فوق التفكير وخارج الطاقة ، ومن ثمة حسبونا في دار غريبة بعيدة الاتصال وذكرنا ما جاءهم من عندنا انتاجا اجنبيا لا عربيا وكلفوا انفسهم عناء البحث والتفتيش والسفر وراء ما ينتج الآخرون ولكنهم لم يفعلوا شيئا من ذلك ليعرفوا عن ادب الجزائر ما حجبته الظلمات وغطته تلوج الشتاء القاسي ..

وأحسب ان هذا لا يعفي الجزائريين من التبعة ويخفف عليهم ثقل الامانة التي يتحملونها امام فكرهم وادبهم وتاريخهم ، فقد خلدوا الى نوع من السكينة وصمتوا صمتا جعل الآخرين يعدونهم في قافلة الاموات بينما كان الواجب يقضي بالصمود في سبيل رسالة الادب حتى النهاية وبإذاعتها في آفاق الدنيا حتى تتجاوب مع الافكار الأخرى ..

ولعل الذي ساعد على بقاء الجزائر قرنا وربع قرن تحت رحمة هذا الاستعمار هو هذا الفراغ الذي كانت تعانيه ... الفراغ الذاتي الذي جعل كل شيء صامتا لا ينبس ، هادئا لا يتحرك ، راضيا لا يتمرد ..

وانا اذ اصرح بهذا الرأي الشخصي استند ايضا الى الواقع فانك ستعرف بعد قليل ان الادب والشعر بالخاص لم يكن منذ ظهوره محدود الهدف ، عميق الصوت، قائد الخطوات ، وانما ظهر الى جانب النشاط الوطني الاخر وسار معه دون أن يتقدمه خطوة واحدة او يتمرد على مفاهيم معينة من داخل نفسه ..

ولست أزعج أن الادب الجزائري قد بلغ درجة يحسد عليها او شارف الكمال ولكنني أردت أن اقول أن للجزائر في الادب العربي لقدم وان لها لاننتاجا ومهما كان رسوخ هذا القدم وجودة هذا الانتاج فان الادب لا يعدو ان يكون تعبيرا عن الحياة التي عاشتها الجزائر وراء القضبان عشرات السنين . وأنه لا يعدو أن يكون صورة للصراع من اجل البقاء ... بقاء العربية في الجزء المتوسط من المغرب العربي . ولا بأس من ان أضغط على كلمتي ( تعبير ) و ( صورة ) لكيلا اتهم بانني اعتبر الادب الجزائري نزوعا الى هدف او بشيرا الى مجهول ..

ويكفي الشعر الجزائري انه احتفظ لنفسه بميزات واضحة وانه كان

صادقا في الوقت الذي كان شعر الآخرين لونا من السوداوية القاتمة وانه كان صدى لخلاجات الشعب وأثاته في الوقت الذي كان الشعراء الاخر طائرا في آفاق الورد والشفاه والاحلام بينما حياة شعوبه مأساة قاتلة .. حسب هذا الشعر انه كان صوتا لكفاح الشعب الجزائري منذ استهل وما يزال معه جنبا الى جنب لا يفتر ولا يتلفت الى الوراء ولا تهمله الصفعات التي يتلقاها من وقت الى آخر من يد غير رحيمة ..

العهد الاسود

نعتبر منتصف القرن التاسع عشر أو بعد ذلك بقليل نقطة البدء للشعر الجزائري الحديث للأسباب التالية :

اولا - ان الثلاثة القرون التي قضتها الجزائر تابعة للحكم العثماني كانت بمثابة العصور الوسطى عند أوروبا الا عهود الظلام في الشرق . ثانيا - ان الغزو الفرنسي بالرغم مما أشاع من الارهاب قد كان بعث يقظة تمثلت مرة في المقاومة المسلحة واخرى في النشاط الفكري . ثالثا - ان الافيون الديني الذي كانت تحكم به تركيا الجزائر قد حل محله العنف الدموي الذي حكمت به فرنسا . فكان هذا التحول في الحكم مصدرا للوخزات التي بعثت اليقظة والانتباه وعدم الاستسلام والركون .

رابعا - بحثنا عن شاعر بذاته يمثل تطورا في المنهج او في المفهوم الشعري لنتخذ منه بداية ، ولكننا لم نجد هذا الشاعر المعين بل وجدنا جيلا كاملا من الشعراء ظهر في فترة واحدة او متقاربة وأسهم بنصيب واحد في الموضوعات والشعارات والاساليب . ولذلك نعد ظهور هذا الجيل في النصف الثاني من القرن التاسع عشر نقطة البداية في الشعر الجزائري الحديث .

خامسا - ان الروح الانقلابية في الشعر وارتباطه بالقضية الوطنية سلبا وإيجابا جعلاني اعزو ذلك الى سبب رئيسي في هذا الانقلاب ، وهو الاحتلال الجديد ، ومن هنا امكنا ان نعد شعر الامير عبد القادر آخر صفحة من الشعر القديم ..

والحق ان يد البغي الجاثم على صدر الجزائر لم تمكننا من الاطلاع على انتاج القرن التاسع عشر ولم نستطع ان نعرف عن كثر مقدار تقدم هذا الشعر او جموده والموضوعات التي تناولها والاهداف التي بشر بها .. غير أننا - بعد دراسة وجهد - توصلنا الى بعض النماذج تنسب الى الربع الاخير من القرن الماضي اشترك فيها غير واحد من شعراء تلك الفترة السوداء من حياتنا الادبية . وهذه النماذج تبيننا بان موضوعات هذا الشعر كانت لا تعدو الحماس والفخر والرتاء والوصف احيانا كما كان شائعا فيها المدح والغناء .

ويحمل لنا شيوخ ذلك العهد - اوائل القرن الحالي - بقايا البضاعة التي كانت سائدة عندهم والتي يكاد الكساد يأتي عليها لولا الامتداد الطبيعي والعاطفة الاصيلة نحو العروبة التي تتمثل في المحافظة على

رمز القرآن الكريم .. ولولا الاحساس بالضغط الذي ينفجر احيانا في كلمات تدعو الى التغيير وتبعث الحيرة وتشيع الهواجس .

ومن هنا وجدنا في هذه الاشعار مدائح نبوية على نسق البردة والهيمية ووجدنا روحا مندبنة غير طموحة الى حياة افضل في الدنيا وانما تتواصى بالعمل النافع لها في يوم تنتظره وبخيل اليها انها واصلة اليه بين عشية وضحاها .

والسر في هذه الروح اليائسة او العازفة عن ملذات الدنيا وكرامة الحياة هو ما وصلت اليه حالة الجزائر انذاك من التجريد الذاتي ومحاولة قتل الروح القومية على يد الغزاة الفرنسيين . ومعنى ذلك ان الشعر مهما كان ضعيفا مظلما في نظرنا الان كان يمثل هذه الفترة اصدق تمثيل .

### العنف والياس

عندما دخل القرن العشرين كانت روح الياس قد بلغت درجة خطيرة نتيجة للصددمات والهزائم التي منيت بها الجزائر كلما حاولت الافلات من قبضة عدوها ، ذلك ان هذه الارض لم تعرف الهدوء او تذوق طعما للراحة مذ وطئها الغزاة ، ولذلك تعددت الثورات وشاع التمرد والمقاومة . غير ان ذلك كله كان يقابل من الجانب الاخر بقسوة ووحشية . ونتيجة لعدم التكافؤ المادي حلت الهزيمة اثر الهزيمة بالجزائر وتجرت كؤوس المرارة دهاقا .

ويبدو ان الجزائريين في الفترة ما بين اواخر القرن التاسع عشر واولائل القرن العشرين بدأوا ينتبهون الى ان هذه الطريقة الفجة في مقاومة العدو غير مجدية بل لعلها تؤدي بالشعب الى الفناء .

ولا بد ان هذا الشعور قد خامر كثيرا من قواد الشعب فهذات حدة الثورات الى حد كبير ولم تعد - اذا كانت - سوى ثورات محلية لسبب قد يبعدها عن الاهداف الوطنية الشاملة .

ولذلك بدأ الناس يفكرون في طريقة اخرى للكفاح .. طريقة تتلاءم والعصر الحديث ، فاذا كان الموقف يقتضي سياسة وحكمة واجهوه بهما . واذا كان يقتضي ثورة وعنفا كان لهم من العدة والاستعداد ما يحقق آمالهم .

وهكذا تطور الشعور السياسي في المقاومة الجزائرية .. تطور لا ليتخلف او يهرب او ينحرف بل ليتقدم خطوات بالمفهوم الكفاحي . ولم يمض على هذا الشعور النامي وقت طويل حتى دقت الحرب الاولى طبولها . وقد حاربت الجزائر جنبا الى جنب مع فرنسا - مجبرة - وأسفرت هذه الحرب عن تجارب ثمينة انضافت الى خبرة الجزائريين كما اسفرت عن اول حركة وطنية بقيادة الامير خالد . وبدأ الصراع السياسي يمر بتجربة فيها اخذ ورد وفيها ارتفاع وانخفاض في درجة المقاومة الى ان حلت سنة ١٩٢٥ .

### انبثاق الشعر

كان غرضنا من هذه الجولة القصيرة ان نلقي بعض الاضواء على اول انبثاق للشعر الجزائري بالمفهوم الحديث ولنرسم خطا لسير الحركة الشعرية نتبين منه مدى ارتباطها بالحركات الاخرى السياسية كانت او غير سياسية .

والحق ان الشعر الجزائري لم تفره السياسة مهما بالفت في الجاذبية فلم يسر في ركاب اي حزب ولم يكن بوقفا في انتخابات او جرسا في

كرسي معين واذا كان يؤخذ عليه شيء فهو انه كان احيانا - كالشعر الطوقي - بجانب التيار الوطني المدفع ويكتفي بالدوران حول نفسه او في حلقة مفرغة فيها كثير من التعفن والذباب ، ولذلك لن نغير هذا الشعر اي اهتمام وحسبنا انه لم يجد أي صوت ولم يحدث أي اتجاه وبالتالي مات في مهده الى الابد ..

ولست ادري هل كان من الخير للشعر ان ينظم لحزب سياسي او يبقى حرا يعالج مشاكل الوطن بنفسه ... ولكني على رغم ذلك احبذ ان يختار الشعر اتجاهها معيننا يجاهد من اجله حتى الانتصار ... وهذا ما فعله الشعر الجزائري ...

حقيقة انه لم ينظم للحزب السياسية ولكنه مع ذلك لم يبق على الهامشي يقدر في هذا ويطري بذلك بل اختار منظمة وطنية اخرى غير سياسية بالرغم من انها تحمل شعارات - الاخاء - العدالة - المساواة الحرة ... تقصد بها حركة الاصلاح التي اصبحت تسمى فيما بعد « جبهة العلماء والتي أسسها الامام عبد الحميد بن باديس في العقد الثاني من هذا القرن .. وقد تسترت هذه الحركة اول مرة تحت تعاليم الاسلام واللغة العربية ومحاربة الخرافة وحفظ شخصية الجزائر ولكنها ما لبثت - بعد ان تركزت وأصبح لها جمهور قوي - ان اعلنت ان كل المبادئ السابقة تستلزم انفصال الجزائر عن فرنسا .

وليس معنى ارتباط الشعر بالحركة الاصلاحية انه انفزل تماما عن بقية الاتجاهات ولكن الذي حدث بالذات هو انه كان ينظر الى القضايا الوطنية جميعها من زاوية واحدة هي زاوية الاصلاح الثقافي والاجتماعي .

ولدراسة الشعر الجزائري دراسة تتماشى مع ما بحثناه سابقا وضعنا له هذا التصميم وذلك بتقسيمه حسب الفترات التي يكثر فيها الاصطراع الشعبي وتدافع اثناءها الامواج الوطنية في اشكال مختلفة .

اولا - شعر المنابر من اواخر القرن التاسع عشر حتى مطلع سنة ١٩٢٥ .

ثانيا - شعر الاجراس من ١٩٢٥ - ١٩٣٦ .

ثالثا - شعر البناء من ١٩٣٦ - ١٩٤٥ .

رابعا - شعر الهدف من ١٩٤٥ - ١٩٥٤ .

خامسا - شعر الثورة من ١٩٥٤ -

ويجب ان يلاحظ الدارس اننا لانتناول الشعر على هذا النحو باعتبار ان كل فترة تمثل حدا فاصلا بل اننا لا نقصد سوى تتبع الحوادث وتأثيرها في الشعر ، ومن الممكن في احيان كثيرة ان يصعب التمايز في الطابع العام ..

وهناك بعض العناوين الاخرى نحب ان نتعرض لها في شيء من الابعاز وهي :

اولا - موضوعات الشعر

ثانيا - حركة التجديد

ثالثا - خصائصه

رابعا - ثقافته

خامسا - الشعر بالفرنسية

## شعر المنابر

في هذا الشعر كثير من رواسب الماضي ومخلفاته ، ونحن اذ نطلق عليه هذا الاسم نقصد المعنى اللفظي لهذه العبارة ، فهو شعر منبري لحما ودما ، لان اساسه الوعظ والارشاد واصباغه دينية يكثر فيها لفظ الاسلام والاصلاح والسلف وما شاكلها ، ولان اهدافه اصلاحية ترمي الى انماء الوعي الشعبي عن طريق الدين والمبادئ الخلقية ، وقد عرفت ان انتسابه كان الى الفكرة الاصلاحية التي لم تكن تبدو في شكل منظم يسمح لها بالظهور كمبدأ ولذلك كان على شعر هذه الفترة ان يهضم اغراضها ويصوغها في أبواب مختلفة تستميل الشعب وتبعث فيه حاسة اليقظة كما تفعل الكلمات الدينية البحتة ..

ولكي ندرك مهمة الشعر علينا ان نتصور المدى الذي كانت عليه الجزائر آنذاك من الشعور بالخيبة والاستسلام للخرافات والادهام والمقد النفسية المتركمة نتيجة لغزوين ، الاول كان داخليا يشنه المشعوذون والرجعيون . والثاني كان خارجيا يقوم به اصحاب الاهواء والمطامع من حالة الاستعمارين ..

ان هذا الشعر قد عانى الكثير في سبيل بلورة الاصلاح ، وقاسى اصحابه العذاب والتنكيل في سبيل تعريب الجزائر وابقاء كيائها دون اندماج او ذوبان .

وقد كانت وسيلته الى الاتصال بالشعب هي الصحافة العربية التي انشأتها حركة الاصلاح وغيرها مثل « الاقدام » « الفاروق » « المنتقد » .. او عن طريق الاجتماعات العامة في مناسبات شتى كندشين المدارس الحرة واحياء المواسم القومية والحفلات الخيرية والمدرسية .

وهناك وسيلة اخرى لها اهميتها وهي ان اكثر الشعراء في هذه الفترة كانوا معلمين في المدارس التي اسسها الشعب بعد الحملة الضخمة التي نادت بالنهضة والتعلم والبناء . فكان هؤلاء الشعراء ، يفتنمون فرصة وجودهم بين تلاميذهم ليثبوا فيهم روح الحماس الوطني بالشعر الذي ينظموه خصيصا لهذه الاغراض .

ومن شعراء هذه الفترة : عاشور الخنقي ، عبد الرحمن الديسي ، ابو اليقظان ، الطيب العقبي ، محمد اللقاني ، السعيد الزاهري ، الهادي السنوسي ، احمد الفزالي ، الجنيد احمد مكي .

واحب ان انبه الى انه لا يجب ان يفهم القارئ من كلامي السابق ان جميع من نظم الشعر على هذا العهد كان غرضه اصلاحيا فقط .. وانما كنت اعني ان الصفة الغالبة والطابع المميز لهذا الشعر هو الاصلاح في توبه الوقاري المتواضع ..

ولا بأس من نموذج من هذا الشعر يصور الحقيقة التي وصفناه بها وسنذكره من غير قصد من بين عشرات النماذج التي بين ايدينا .. يقول الشاعر محمد اللقاني احد شيوخ الشعر الجزائري الكلاسي من قصيدة نشرها بجريدة « الاقدام » :

بنى الجزائر هذا الموت يكفينا لقد اغلت جبل الجهل ابيدينا  
بنى الجزائر هذا اللهو اوقعتنا في سوء مهلكة عميت نوادينا  
بنى الجزائر هذا الفقر افقدنا كل اللذائد حينما يقتفي حينما  
بنى الجزائر استيقظوا فلکم اذقنا اللهو والاهمال تهويونا  
بنى الجزائر ما هذا التقاطع من دون البرايا ... عيون جمعت فينا  
فقر وجهل وآلام ومسفحة يا رب رحماك هذا القدر يكفينا  
حياتنا قط لا يرضى بها احد وعيشنا صار زقوما وغسلينا  
يا دهر رفقا باغنام مقطعة عثى بمرضنا سيد ليلينا

اما النموذج الذي نذكره دليلا على ان هذا الشعر لم يكن ملتزما هذا المنهج الاصلاحى في كل حين فهو للشاعر - الجنيد احمد مكي الذي اخذته فرنسا ليدير مدرسة في السودان الفرنسي فلما اراد الاتصال بالسودانيين خافوه لانه ابيض البشرة ويضع على رأسه قبعة ضد الشمس وحين ضاق بالوحدة اتخذ غزالا اسمه « سهيل » ليستانس به .. يقول الشاعر من قصيدة طويلة مليئة بالتأمل عنوانها « شاعر في غربته » ..

ان ملت للعرب قالوا اللعربي وصال  
او ملت للسود قالوا ذا ابيض مختال  
او ملت للروم قالوا صفاء هذا خيال  
يا ليت شعري لماذا هذا القلى والمقال  
والاصل اصل فريد والمرء للمرء آل  
لما رايت نفورا والخب داء عضال  
خطبت للوحش ودا فجاء منه غزال

## شعر الاجراس

استبدل الشعر في هذه الفترة ( ١٩٢٥ - ٣٦ ) نغمة جديدة لم تخرجه عن النقطة التي بدأ منها ولكنها كانت نغمة تمتاز بالقصر والاهتزازات المباشرة ومن هنا وجدنا اكثر الاسماء انطباقا على هذه النغمة ان نسميها نغمة الاجراس او شعر الاجراس ..

والسبب في هذا التطور من المنبر الى الجرس ان الجزائر شهدت ميلاد حزب الشعب الذي كان يسمى نجم شمال افريقيا وجمعية العلماء التي كانت حركة اصلاحية غير رسمية . كما شهدت الجزائر مولد بعض الاحزاب الاخرى كالحزبين الشيوعي والاشتراكي وظهرت من وسائل التعبير بالعربية مجلة قوية باسم « الشهاب » وجريدة وطنية زينة باسم « البصائر » الى جانب بعض الصحف الاخرى « كالسنة » و « الشريعة » .. وقد امتلا الجو الجزائري بالفجار وانعدت في سماء الوطن كثير من السحب التي منها ما ينقشع سريعا ، ومنها ما يدوم طويلا ، ومنها ما ينمش النفس ويشير بخير عميم ، ومنها ما يحزن ويبعث الكتابة وخيبة الامل ..

وعلى كل فان هذه الزواجع والسحب قد زادت الشعب ايمانا بنفسه وبمستقبله وجعلته يستيقظ في غير تهور ويفتح عينيه على صباح جديد .

يقول الفيلسوف الجزائري مالك بن نبي احد المعاصرين لهذه الفترة في كتابه ( شروط النهضة ومشكلات الحضارة ) « وخلال العصر الذهبي الذي بدأ عام ١٩٢٥ واستمر حتى زوال المؤتمر ( ١٩٣٦ ) الذي مات في مهده كنا نشعر بالنهضة ، ولم يكن زادنا في مبدأ رحلتنا سوى كلمات من الفصحى ، وبعض آيات من القرآن وهكذا ابتدأت على اثر هذه النهضة المدارس الاولى تشيد بسيطة متواضعة كتلك المدارس التي افتتحت في الغرب بعهد شارلمان والتي كانت اصولا للمدنية الغربية » .

ويقول عن الادب في هذه الفترة « ولم يتخلف الادب الجزائري عن الركاب فقد بدأ يصور تقدم البلاد في قصائد جدد فيها نشاطه بعد ركود طويل .. كانت تلك القصائد تفني ربيع النهضة .

لقد اكتسبت الشعر في هذا الجو طاقة جديدة وذخيرة تعبيرية لم يجدها منذ قرن او اكثر ولذلك راح يدق الاجراس ويطلق الصفارات متمشيا مع التيار الوطني المتدفق من نفسية الشعب وهو اذ يفعل ذلك لا يزعج - التتمة على الصفحة ٦٥ -

# تعميم للشعر الجزائري الحديث

- تنمة المنشور على الصفحة ٢٩ -

لا يكاد يسمع لها صدى ..  
ومحمد العيد اذ تسلم هذه الامارة لم يتخلها طريقا الى الشهرة  
والتهريج ولم يعد بها عن الطريق الذي عبده اسلافه ووضعوا فيه بعض  
المصاييح بل شق نفس الطريق وخاص عين الوحل ولكنه استطاع وبقدرة  
عجيبة ان يضيف مصاييح اخرى باهرة الفياض ويمجد كثيرا من المسافات  
التي كانت من قبل مظلمة .

وقد ساعده على ذلك تطور المفاهيم القومية بحيث انتفع بتجارب  
الماضي ووعي الحاضر واحلام المستقبل كما ساعده ظهور المدارس الادبية  
التي دخلت الشعر العربي عن طريق ادباء المهجر وبعض الادباء الشرقيين  
والتي جاءت الجزائر ايضا عن طريق ادباء فرنسا وصحافتها .

على ان هناك شيئا يجب ان نعرفه وهو ان محمد العيد لم يخلق في  
هذه الآونة فقط بل كان موجودا وشاعرا قبل سنة ١٩٢٥ ( ولد في  
١٩٠٤ ) ولكني رايت - بعد قراءة شعره - انه في المرحلة الاولى كان عابر  
طريق وفي المرحلة الثانية كان نافخ مزمارة دون موسيقى . اما في المرحلة  
هذه فقد بلغ درجة من النضج والمقدرة على تمثيل احساسات الشعب  
وهضم الاهداف الوطنية ما جعله بحق شاعر الشعب في ادق ظروفه ..  
ان الجزائر قد عرفت في هذه المرحلة اكبر الهزات الوطنية والعالية  
وكانت مسرحا لانفعالات نفسية متعددة ، فقد انعقد فيها لأول مرة في  
تاريخها مؤتمر يضم آلاف المواطنين واشتركت فيه اكثر الهيئات الوطنية  
وتحدث فيه الخطباء عن تاريخ الجزائر وحاضرها وتحدثوا عن الام الشعب  
واماله ودعوا الى مستقبل افضل يرفع عن الشعب كابوسا طالا حجب  
عنه الحقائق ونادوا ( بالكيان الجزائري ) التميز باللغة والدين والوطن  
ثم تلوا على مسامع الجماهير المطالب التي اقترتها اللجنة المختصة فهتفت  
لها الجماهير وايدتها . واثناء هذا المؤتمر تكلم الشعراء فهبجوا الحماس  
وحركوا الكوامن وتفنوا بالوحدة والنضال في سبيل الوطن .

وبالرغم من فشل هذا المؤتمر في مطالبه بعد ذلك فانه كان نقطة  
انطلاق خطيرة في تاريخ الكفاح الجزائري .. ذلك انه قد فتح اعين  
الشعب على آفاق رغبة لم تكن معروفة من قبل نتيجة لما اثاره من  
قضايا وما صقله من نفسيات وما وجهه من جهود .

وزيادة على هذا البناء النفسي الذي شيده المؤتمر ، فانه ترك اثرا  
آخر له خطره وهو حفر هوة عميقة بين الحكومة الدخيلة والشعب ..  
ففي الوقت الذي كان فيه دعاة الانعماج والذوبان يعملون على تنفيذ  
خطتهم بالحيلة والذس والافراء ، كان المؤتمرون يعدون الشعب عن  
( الذات الجزائرية ) والتمايز بينها وبين الذات الفرنسية .

وبذلك يكون المؤتمر قد قطع شوطا في سبيل التباعد وحياء الحواجز  
التي تحول دون ذوبان الشعب الجزائري في الشعب الفرنسي والتسي  
عمل المستعمرون على دلفنها واخفائها حتى يتاح لهم ( صب ) الجزائر  
في نهر السين .

ولم تكن الهزات الوطنية ممثلة في المؤتمر فحسب بل كانت هناك  
غضبات شعبية اخرى في وهران وقسنطينة .

ولم تكن هذه الهزات هي حصيلة الجزائر من التجارب في هذه الفترة  
بل عرفت هزات اخرى اشد عنفا واعظم هولاً وافنى تجربة هي الحرب  
الكونية الثانية التي خلفت وراها الدمار والحزن الابدي كما خلفت  
انثاقات شعبية وتطلعات نحو الغد .

بنفسه في مفهوم خاص او يتناول قضية ما بالتجزئة ولكنه يظل صورة  
للقلق والغيوم التي تتلبد في سماء الجزائر ..

والحقيقة ان شعر هذه الآونة كان سلبيا الى حد كبير ولم يتغن باية  
نهضة كما يرى الاستاذ بن نبي ، لانه لم يجد اهدافا وركائز واضحة  
لتلك النهضة ، وانما وجد شعبا قلقا قد فتح عينيه على اشياء كثيرة لم  
يدرك بعد حقائقها فكان الشعر صورة لهذه الحيرة . ولو كان لهذه  
النهضة وجود حقيقي لما تداعت بفشل المؤتمر ولما زادتها الايام اضطرابا  
لان الوعي الوطني قد بقي سليما صاعدا بالرغم من الفشل الذي حل  
ببعض التجارب الشعبية .

انظر مثلا هذه اللهجة الحائرة بين الواقع الشعبي وبين الامل الذي  
يضطرب في نفس الشاعر نحو آفاق مجهولة ... يقول محمد العيد ابرز  
شعراء الجزائر يخاطب الشعب :

ايها الشعب فيم توسع قهرا ليت شعري لاي امر تقاد  
ليت شعري متى تصير عتيدا ولاهلك بالنفوس امتداد  
ليت شعري متى تمد لك الايدي وتفري بحبك الاكباد  
ان خير البلاد في وسع اهليها اذا ابدوا بها واعادوا  
ولمك تلاحظ في غير عناء مقدار الحيرة التي تتمثل في تكرر  
التساؤل بـ ( فيم ؟ وليت شعري ) . وقد انشئ هذا النموذج سنة  
١٩٣٥ اي قبل انعقاد المؤتمر بنحو سنة .

ويقول محمد العيد من قصيدة اخرى تقرن فيها الحيرة بالياس  
القام :

نح على امة حظها تاعس  
امة مجدها دارج دارس  
امة لها قائد سانس  
قد نبا سيفها وكبا الفارس  
خصمها دائب فوقها دانس  
وبنوها اخ للاح باخس

فاين التفني بربيع النهضة في هذا الشعر وامثاله . اللهم الا حيرة  
ولقلق واجراس يدفها الشعر في مثل هذه اللهجة :

يا شعب جد الجد فانفض واكسب الفاخرا  
يا شعب رض بالصالحات ارضك الجزائر  
قد انجبت وتنجب الاحرار والحرارا

ومهما يكن من شيء فان الشعر قد تجاوب مع الشعب في هذه المرحلة  
الخطيرة من تاريخ الوعي وصور حياته كما هي دون تزويق او اطراء . ومن  
شعراء هذه الفترة : محمد العيد ، الامين العمودي ، جلول البديوي ،  
احمد سحنون ، مفدي زكريا ..

شعر البناء

الت امارة الشعر كما يقولون الى محمد العيد فاخلها بجدارية ولم  
تسكت الاصوات الاخرى ، وانما طال بها الطريق ونفذ عندها الزاد ،  
فاستحبت الراحة على العناء ، وخلدت الى نوع من الركود يشبه الفناء .  
فانزوى البعض يبحث عن ذاته وتساؤل آخرون عن مجهوداتهم التي يرونها  
تذهب هباء . ويس آخرون من الشعر طريقا الى التعبير الواضح ،  
فعادوا الى النشر يقتدحون زناده ، وينحتون من صخره ولم يبق من  
الاصوات الاخرى غير صوت احمد سحنون ومفدي زكريا وبعض اصوات

وعرفت الجزائر كذلك تقاتل الافكار بعد فشل المؤتمر فقد كثر الهمس داخل الاحزاب حول المستقبل واشتد الصراع بين الهيئات حول الطرق التي ينبغي اتباعها للوصول الى الانفصال والاستقلال . ولا فرق في هذا التقاتل بين الافكار السياسية ذاتها وبين الافكار الاصلاحية المتواضعة فان جميع ذلك قد ساعد الشعب على ان يصبح حكما وان يتدخل فيما يعمل باسمه وبالتالي اصبح الشعب قادرا على ( الاختيار ) والتوجيه . وفي هذه المرحلة من تاريخ الجزائر اخذ الشعر على عاتقه الدعوة الى الوحدة والى الوطنية النقية والى التحرر من التماضي البغيض ونسيان اللات في سبيل المثل الوطنية كما اخذ يواجه العدو بشيء من الصراحة والتهديد ويبحث ما في الجزائر من طاقات مذخورة وما فيها من خصائص تميزها وتجعل منها شخصية نموذجية مستقلة .

ولهذه الروح الجديدة في الشعر اسميتها ( شعر البناء ) لانه سعى جهده في سبيل الاشادة بالكيان الجزائري وتشبيده على اسس وطنية راسخة .

يقول محمد العيد وهو يمرض بالهونة والرجعيين :

فد حيث شمعك مهما كان موقفه اولا فانك عضو منه منحسم  
تقول اضحى شئت الراي منقسما وانت منه شئت الراي منقسم  
اعدى عدى القوم من يعزى لهم نسا ويسمع القدح قيسم وهو يتسم

ويقول عن الذاتية العفنة التي ابتلى بها بعض الزعماء :

لا ارى الاقلاب الا بروقا واجفات الطرف وهو كليل

ولعل النموذج التالي خير دليل على ما وصل اليه الشعور الوطني في هذا الشعر الباني ، فقد تحدث فيه الشاعر عن الحياة الصاخبة وامر الناس بخوضها عراكا ومغالبة وتفنى بالجزائر كوطن مقدس ورضي بالبقاء فيه مهما كان جعيما ، بل سمي هذا الجحيم ربيعا رطبيا ما دام في حوى الوطن ، كما تحدث عن الوحدة فلا عربي وبربري ولا جنوبي وشماليا وانما هنالك شعب واحد ووطن واحد وعدو واحد وامل واحد .

يقول محمد العيد من قصيدة طويلة :

هلم نشارك فالحياة معارك هلم تقاحم فالحياة مقام  
وهبتك روحي يا جزائر فأمرني كما شئت اني خاضع لك خادم  
حماك ربيع لي وان كان جاحما علي وهل يصلي خليلك جاحم  
وقرباك هم قريبي لست مباليا اعاريب هم في جنسهم ام اعاجم  
فخذ من دمي يا ابن الجزائر انني اخ لك في كل الحظوظ مقاسم

شعر الهدف

بعد مجزرة 8 ماي 1945 التي ذهب ضحيتها اكثر من اربعين الف جزائري ابان احتفال الحلفاء بالانتصار - اكتسب الشعب الجزائري تجربة جديدة اهدته - كما اهدت الشعب - الى ان لا امل من عدوه بغير سلاح . وهذه التجربة وان خلفت جراحا واما كثيرة الا انها اياست الشعب من المحاولة السلبية وجعلته يكتشف نفسه التي كانت تائهة في ضباب السنين .

وانا افول تائهة لانها في الواقع كانت كذلك فان النفس الجزائرية لم تهتد سابقا الى هدفها المنشود من خلال جميع الفترات التي تصالبت عليها ، ومعنى ذلك ان اعمالها السابقة لم تكن سوى ارهاصات لهذا العهد اما في هذه الفترة - بعد ماي - فقد زالت عنها كل الغشاوات

والكثافات التي كانت تمنعها من معرفة المجهول ووجدت الجزائر نفسها امام الحلقة المفقودة من تاريخها . هذه الحلقة التي لم يبق عليها سوى ان توصل باخواتها كي ينتهي الكفاح الى القمة ..

ونتيجة لهذه المأساة ظهرت في افق الجزائر هذه المرة الحان الحرية والصحايا والاستقلال والعلم الرفاف .. الى آخر هذه الرموز المقدسة في قلب الشعب والتي لم تكن لتظهر لولا التطور الكفاحي الذي يدنو من الهدف

وقد ظهر من الشعراء كل من الربيع بوشامه وعبد الكريم العقون واحمد الفوالي وموسى الاحمدي وحسن حموتن والاخضر السائحي . ورغم ذلك فان القيادة ما زالت في يد محمد العيد وما زال الى يمينه وشماله كل من سحنون وزكريا ..

وقد تنوعت موضوعات الشعر الجزائري في هذه الفترة وطرق عدة ابواب اهمها قضية فلسطين واهدات الشرق الاوسط كاستقلال الشعوب العربية وصراها مع الاستعمار وبعض القضايا الاجتماعية المعاصرة ..

ومع هذا التطور المحسوس في الموضوعات فان الشعر لم ينس قط رسالته التعليمية والاصلاحية سيما عند محمد العيد وسحنون والاحمدي ..

ففي سنة 1951 نشر الشاعر الشهور محمد العيد قصيدة طويلة عنوانها ( الى العلم ) يقول في مطلعها :

اراك بلا جدوى تضج من الظلم الى العلم ان رمت النجاة الى العلم  
وكانه يعود بفكره الى ما قبل سنة 1925 حيث يقول الشاعر اللقاني:  
بني وطني هل من نزوع لاجداد فقد ركبوا للعلم سهوة منطاد  
او حيث يقول الشاعر السعيد الزاهري -

توفر حظ الناس في العلم والهدى وما زال منقوصا نصيب الجزائر  
ويجب ان نلاحظ دائما مهما تازمت الظروف وهبت الزواجع ان الشعر يبقى محافظا على توازنه متمسكا بوقاره ونظراته الواقعية الهادئة . وعندي ان السبب في ذلك هو انه لم يكن حزبيا او سياسيا ولو كان كذلك لاكثر من الصجيج والهرج ولخاض غمرات تدفعه حيننا الى التمة وتدخرجه احيانا الى الحضيض حيث يلقي مصرعه ..

ولعلنا الان نستطيع ان نذكر بعض النماذج التي تلقى الضوء على ما قصدنا اليه من ( شعر الهدف ) . يقول الشاعر احمد سحنون يخاطب المعلم :

هات من نسل الحمى خير متاد وادخرهم لقد جنيد جهاد  
هات نشئا صالحا بيني الملا ويفك الضاد من اسر الامادي  
ان في يمينك شعبا كاملا يتنزي بين ظلم واضطهاد  
لم يزل في القيد منهوك القوى منذ القى للاعادي بالقياد

ويقول وهو يخاطب التلميذ في قصيدة اخرى -

شعبك البونوق لم يبق له من متاد فلتكن خير متاد  
لج الاستعمار في طفيانسه كل يوم منه الوان اضطهاد  
فليكن حاديك تحرير الحمى ان تحرير الحمى للحر حاد

ولعلك تلاحظ ان بعض الكلمات والتعابير لها وقع خاص في هذه الابيات مثل - تحرير الحمى - جند جهاد - اسر الاعادي - يتنزي بين ظلم واضطهاد - لج الاستعمار في طفيانسه .. الخ ويقول الشاعر عبد الكريم العقون في لهجة اكثر وضوحا وابسط لفظا -

بني وطني اعيدوا مجد قوم اقاموه على اقوى عماد  
وادوا ما عليكم من حقوق لشعبكم وذودوا كل عاد  
وفكوا قيده لا تركوه يعني كل ظلم واضطهاد

والفرق بين هذا النموذج والذي قبله انه بينما استعمل الاول الفاظا  
تقريرية هادئة استعمل هذا الفاظا امرية ناهية فيها حرارة للتوجيه وصدق  
الشعور بالموضوع . انظر مثلا هذه الكلمات ذات الرنين الخاص - بني  
وطني - اعيدوا - وادوا - وذودوا - وفكوا - لا تركوه ... التي  
توحى لاول وهلة ان الشاعر يلقي بها في مظاهرات شعبية صاخبة .

اما النموذج الذي ناتي به لمحمد العيد فهو يدلنا على وضوح الهدف  
الذي سعى اليه الشعب منذ ان انطلق اوائل القرن العشرين ، ويدلنا كذلك  
على ان الشعر قد يبلغ من الحماس احيانا ما يجعله يلقي بهدوء الاصلاح  
جانبا او يكاد ..

يقول محمد العيد من قصيدة نشرها في جريدة « المنار » سنة 1950  
مظلمها :

حسوا العزائم واصدقوا الامالا ان الزمان يسجل الاعمال  
ويقول فيها :

يا قوم هبوا لافتتاهم حياتكم فالمر ساعات تمر عجبالا  
الاسر طال بكم فطال عناؤكم فكروا القيود وحطموها الانفلالا  
والشعب ضج من الظالم فانشدوا حرية تحميه واستقلالا  
ويقول وهو يقصد العلم الجزائري

لا امن الا في ظلال مرفرف حر لنا عال ينير هلالا  
من فوق جند بالعتيد من القوى يلقي العدو ويصمد استببالا  
ثم يقول -

واذا اراد الشعب نال مراده ولو انه كالنجم عز منبالا  
ولعل محمد العيد اول من صرح بالاستقلال والطم والحرية والجيش  
وارادة الشعب من اخوانه الشعراء وجاء بها في هذه الالفاظ التي لا  
تعتمل غير مدلولاتها الحقيقية ... ذلك ان الشعراء الجزائريين وهو منهم  
كانوا يختبئون وراء الكلمات ولا يصرحون بما يريدون ولذلك كثرت في  
الشعر الجزائري الالفاظ المعتملة والمبهمة .. فقد اطلقوا على الاستعمار  
لفظ ( الاسر ) وعلى الوطن لفظ ( الحمى ) وعلى الحرية صفة ( الحمراء )  
وعلى الاستقلال لفظ ( المجد )

وهذه ناحية سنمقد لها فصلا خاصا لانها من الاهمية بمكان عند من  
يتعرض لدراسة الشعر الجزائري دراسة تاريخية متطورة على ضوء  
الاحداث والظروف ..

وهذا نموذج آخر انشده محمد العيد قبل الثورة بنحو ثلاثة شهور  
فقط انشده في جماهير غفيرة يوم الاحتفال بافتتاح مدرسة ( بانة )  
ولولا اني كنت حاضرا لهذا الشعر وهو يلقي ورايت بعيني الاثر الذي  
تركه في الحاضرين ما التفت اليه اطلاقا ..

يقول الشاعر الكبير -

ومما التسجيل للانار الا ببلل المال او ببلل الضحايا  
حذار من الشقاق فان اتمتم عليه عصاكم انفلقتم شظايا  
ولي وطن حبيب لي خصيب وقفت على محاسنه هوايا  
وكننت له من الاحرار عيدا له روحي وما ملكت يدايا  
اذا آنتت من بلواه نارا فاني قد وجدت بها هدايا

ولا تنس ايها القاري ان كل بيت من هذه الابيات كان الجمهور  
( واكثره لا يعرف القراءة والكتابة ) يستمده ويصفق له ويكبر من اجله  
فكانه انذارات بالثورة وسهام نحو الاستقلال .

### شعر الثورة

كان بعض الشعراء موجودين قبل الثورة وكان لهم قصائد في الغرض  
شتى واهمها وطنية فلما اشتملت الثورة اذكت العواطف وهزت المشاعر  
وانطقت الافلام التي كانت من قبل مكبوتة محرومة من نعمة التعبير وفتحت  
امام الدهن آفاقا ما كان يستطيع ان يرودها لولا النور والحديد .  
وقد تفجرت هذه وتلك بشعر ثوري عارم يسجل انتصارات الثورة  
ويبشر بالاستقلال والقد الحر ويتفنى بالحرية والوطن ويشارك المحزونين  
والمتألين ويصمد الجراح ويكفكف الدموع ويخلد الشهداء والابطال والوفائق  
هذه الطائفة من الشعراء هي اليوم وليدة الثورة شاعرية وان لم تكن  
وليدها زمينا ، فقد كان بعض هذه الطائفة موجودا قبل الثورة كما قلنا .  
اما شعرها فيتميز بانه لا يخرج تقريبا عن الروح الوطنية المشتعلة سواء  
طرق مواضيع ثورية مباشرة او استوحاها من الواقع العربي عموما ...

والذي يلاحظ على شعر الثورة هو انه غير مركز جملة - شان انتاج  
الثورات - يؤديه الحماس الطائر والعاطفة المنجحة بدل الخيال الموحى  
والتأمل البارع كما يلاحظ عليه نقصان التجارب لان اغلب شعرائه من  
الشباب التهمسين ...

ومن شعراء هذه الفترة احمد الباتني ومحمد صالح الخرفي وابو  
القاسم خمار وعبد السلام حبيب ومحمد صالح باويه وعبد الرحمن  
زناقي، ولعل كاتب هذه السطور لا يرى باسا من اضافة اسمه الى هذه الاسماء.  
ونعتقد ان شيوخ الشعر لديهم انتاج كبير يمثل هذه الفترة الجيدة  
من كفاح الجزائر ولكن عدلنا في عدم التمرس لاننتاجهم هنا هو اننا نؤرخ  
للشعر الحديث متبعين مراحلها واطواره ولسنا دارسين او ناقدين في  
الوقت الحاضر ...

وهذه بعض النماذج من هذا الشعر الثوري ...

يقول الشاعر عبد السلام حبيب من قصيدة بعنوان ( مصرع خائن ) :  
خذلها ودمدم من مسدسه رصاص - خذلها فقد حان القصاص - الويل  
لك - يا خائن الشعب الجريح - لن استريح - حتى تموت ساقنتك -  
باسم الوطن - باسم الجراح الرافعة - باسم الجموع الزاحفة - باسم  
الجزائر والتفصال - خذلها رصاصة ثالر - حر الضمير جزائري ..

وفي هذه القصيدة تحدث الشاعر عن البطل محمد بن صادق السلي  
اغتيال الخائن على شكال على مرأى ومسمع الالاف في باريس وتحدث عن  
الروح الفدائية وعن اللع الذي انتاب الفرنسيين اثر الواقعة ..

اما محمد صالح باويه فانه يقول في قصيدة له بعنوان ( الثائر ) -

يا رفاقي في الدر في السجن في القبر وفي الام جوعي

قهقه القيد برجلي يا رفاقي حدقوا فالثار يجتر ضلومي

يا جنون الثورة الحمراء يجتاح كياني ومفارات ربوعي

اقسمت امي بقلبي بجروحي سوف لا تمسح من عيني دموعي

اقسمت ان تمسح الرشايش والمدفق والجرح بمنديل دموعي

اقسمت ان تغسل الجرح وتغفو شعلة تضرم احقاد الجموع

ويتحدث الشاعر ابو القاسم خمار عن الشعب الجزائري ضمن ملحمة

طويلة استعرض فيها كفاح المغرب العربي كله والقصيدة بعنوان ( ظلال

واصداء ) :

تاركا لزوبع الغضوب كأشباح الدياجير يعصر الخصم عصرا  
 نار في ثورة اذا قيس بركان بهزات نارها كان يسرا  
 ثورة تحمل الابداء للبسؤس ، وللمدل والسعادة بشورى  
 وقصيدة ( سلاحنا وسلاحهم ) يتحدث فيها الشاعر صالح الخرفي عن  
 فرنسا فيقول

ملأت الارض والاجوا حديدا فكان العزم اقوى من حديد  
 فلسنا في الوغى جدا ففتنى عزائمنا اساطيل الجنود  
 ولاعشاق دينار فتلوى اعنتنا بوارق من وعود  
 ولكن عيشة الاحرار نبغى ودون بلوغها نيل الخلود  
 زحفنا كالانى فكنت سدا سلى خبر الاتى مع السدود

وفي احدى قصائد الشاعر عبد الرحمن زناقي يقول عن الثورة -

في كل يوم ثورة للنار في ارضنا كالرعد كالعصار  
 في كل يوم ثورة وقادة ترمي الطفلة باسهم من نار

ويقول احد شعراء الثورة من قصيدة له بعنوان ( جرح ملوذة ) يخاطب  
 ارض الوطن -

يا ارضي المنطلقة - يا نسا يحضن حرية - شملة نور منبثقة - ما  
 زالت في الكأس بقية - شربوها موتا او خيبة - وسنملاها حرية - يا  
 ارضي المنطلقة - لا الما لا شكوى - امضي في الافق الارحب - افق  
 الثورة - آسى الجرجة بالجرحة - وأطيري الموكب بالفرحة - لا الما لا  
 شكوى - يا ارضي المنطلقة .

موضوعاته وخصائصه

ربما يشك البعض في أن التاريخ القصير الذي قدمناه عن الشعر  
 الجزائري يصوره قاصرا على النواحي الإصلاحية الوطنية فحسب .  
 والحقيقة ان تلك هي الصفة الغالبة على هذا الشعر اما ما عداها فيوجد  
 فيه الرثاء والمدح والوصف والتنهائي والعتاب والحكم .

وهناك صفة اخرى تغلب عليه وهي انه شعر مناسبات بعيد كل البعد  
 عن الذات ووحيا الا في القليل النادر . وهو خال تماما - المنشور  
 منه - من الفزل - وقد ذكر احد رواده ( اللقاني ) سبب ذلك فقال :

الا فدع التفزل في غوان فتلك طريقة المستهترينا  
 فمن صوت البلاد لنا نداء يكاد المرء يسمعه انينا

ومن خصائص الشعر الغالبة انه يفخم الطالع ويصرعها ويختار لها من  
 اللفظ ابعد وأوقعه :

( بياتنه ) رعد البشائر لعلما فاطرب (اوراسا) بها و ( الشلعلما)  
 يا ( وادي السان ) اوردنا باحسان ولا تمتنا صدى يا وادي السان  
 عظم المصاب وجلت الدهماء وتوالت البأساء والضراء

ويختتمها غالبا بيت دعاء فيه ترحم او ضراعة أو رجاء أو امر أو  
 نهي بعد ان يمهد لذلك في الإبيات السابقة :

فالحظ الله سيرنا بوفاء وأئر نهجنا وبارك خطانا  
 لئن سجنوا الشعب الكريم بشخصكم فقد اطلقوه اليوم فليبشر القطر

ومن ذلك انه يطيل القصيدة غالبا بحيث يتناول فيها افراضا متعددة  
 ولذلك يلجأ الى عتوتها بيت كامل أو بشرط دون ان يحصر الموضوع  
 في نقطة معينة ويضع لها عنوانا قصيرا مستوحى من الموضوع والنماذج

على هذا كثيرة .

ومن ذلك انه شعر جزائري قليل التعرض للقضايا العامة ولذلك قلنا  
 انه قد صور حياة الجزائر تصويرا واقميا صادقا بحيث تحدث عن  
 جملها وبؤسها وتأخرها وتحدث عن جمالها ومزنتها وامتيازاتها وتحدث  
 عن نهضتها وحركانها ورجالها ..

فاذا ما تناول قضية عامة فان ذلك بوحى من داخل الجزائر مثل  
 استقلال بعض الشعوب والحرب والنفس والموت وعلاقة الانسان بالله ..  
 الخ .

ومن ذلك انه كثيرا ما التجأ الى التلغيز والابهام ووضع كلمة مكان  
 اخرى تقيه وخوفا او حبا في التشويق والاغراء وقد سبق ان مثلنا  
 لبعض ذلك ونبه الى ان في شعر محمد العيد كثيرا من اللفاز  
 والرموز التي يقصدها قصدا .

ولعل اكثر ما يميز الشعر الجزائري جزالة اللفظ وحبك العبارة  
 والمحافظة على القوالب العتيقة وانعدام الروح الفنية التجديدية بما في  
 ذلك من التخيل وعدم الوحدة الموضوعية والعضوية ، الكلف بالحكمة  
 والتقرير والتعميم في الاحكام والاحتواء على العبارات الدينية والقصصية  
 على اساس التضمين والاقتراب ، طول النفس والبساطة والتمهيد  
 بالمقدمات الطويلة للوصول الى الغرض الرئيسي ..

وزيادة على ما قدمنا عن موضوعات هذا الشعر فاننا نضيف اليها  
 انه تناول الإصلاح الديني والاجتماعي والعلم والتعلم والمدرسة ، قضية  
 الاندماج والعروبة والإصلاح والامجاد والماضي العربي ، المخاطر الخاصة  
 والتأملات الذاتية وهي قليلة - الاخوانيات كالتنهائي والتعازي والتقاريز .

وقد جمد الشعراء في الفترات السابقة للثورة على الطريقة التقليدية  
 ولم يحاولوا التخفيف من طابع القديم فاذا ما حاول بعضهم كالمظاهر  
 البوشوشي وجلول البدوي والاخضر السانحي فان ذلك لا يعدو تصفية  
 الكلمات وترقيق العبارة اما ما يخص الاغراض البلاغية ( كالتطابق والجناس  
 والاقتراب والتضمين ) وما يتعلق بالقافية والوزن الفاء وتصرفا فهذا ما  
 لم يفعل الشعراء اذاه شيئا .

اقرأ مثلا هذا البيت لمحمد العيد :

النيابات كلها نائبات والقيادات كلها أقياد

وهذا البيت من القصيدة ذاتها :

ان للعرب في الحضارة قدما قدما للورى عليها اعتماد  
 وهذا البيت الاخر :

نتواصى بالحق والصير فيه والتواصي تضامن وجهاد  
 وهذا البيت لعبد الكريم العقون :

كذا العرب جسم واحد ان يذق أذى تداعت له الاعضاء بالسهد والضر  
 ويقول الشاعر احمد سخنون :

وما الشعر الا ثورة غير انها تصول بلا كف وتسمى بلا رجل

ولو تتبعنا هذه الناحية لخرجنا عن موضوعنا الاساسي وهو العرض  
 والتاريخ .

التجديد

كنت أتابع الشعر الجزائري منذ سنة 1947 باحثا فيه عن نفحة  
 جديدة وتشكيلات تواكب النوق الحديث ولكني لم أجد سوى صنم يركع

امامه جميع الشعراء بنغم واحد وصلابة واحدة ، ومع ذلك فقد بدأت اول مرة أنظم بالطريقة التقليدية اي كنت اعبد ذات الصنم واصلي في نفس المحراب ، ولكنني كنت شغوفا بالموسيقى الداخلية فسي القصيدة واستخدام الصورة في البناء .

وقد نشرت اول شعر جزائري في الهجر والياس بعد صدمة قلبية .  
منه هذه الابيات ( البصائر ١٩٥٢ ) :

رنت به الاتدار في افاقها حينما ... واصمت طيرها بسهام  
سقط المبيض وحطمت اوتاره مثالا ظامى العواطف دامى  
اسقيه من دمع الصباية داعقا من وحشتي وكأبتي وظلامي  
ولست آتي بهذه الابيات لوجودها ولكن لوجودها في فترة انعدم مثلها  
واستحال .

اما عن الغزل فقد نشرت قصيدة بعنوان ( الجمال الحالم ) -الاسبوع  
٢١٨ - ٥٢ حجاب فيها :

اضفي الوجود مذاك في الالوان وجمالك معرض للخلود الهائي  
تجشو الحقائق من سموك ركما وتفيض منك جداول الايمان  
ملك تندى النور في بساماته وسرى كسحر الفن في الفنان

والحق اني لست راضيا عن كثير مما في هذا الشعر ولكني جئت به  
ليمكن القارئ من دراسة التطورات والمراحل التاريخية والانفعالات  
المباشرة وغير المباشرة في الشعر الجزائري . ولعل القارئ يلاحظ في  
غير عناء الروح التي تفرق بين ما سبق ان عرفه من نماذج وبين هذين  
النموذجين بالرغم من ان كل ذلك متساو تقريبا في الشكل ولكن  
الاختلاف في المضمون والروح والعاطفة والاداء .

وعندما اتصلت بالانتاج العربي القادم من الشرق - سيما انتاج لبنان-  
بدأت اقرأ النقد الحديث والمذاهب الادبية والمدارس الفكرية واطلعت  
على نظريات الفريبيين في النقد المعاصر حملني كل ذلك على مساييرة  
القافلة والتجاوب مع النهضة المتحررة من قيود الماضي ..

وقد نشرت اول الامر بعض القصائد رتيبة التفاصيل حرة القافية ..  
مثل ( احتراق - اطياف - خميعة وربع ) ثم لم اليت ان تحررت من  
عدد التفاعيل ايضا ونشرت اول قصيدة حرة في الشعر الجزائري سنة  
١٩٥٥ ( البصائر - ١١١ ) بعنوان ( طريقي ) وهذا مقطع منها :

سوف تدري راهبات دير عبقر - كيف غانقت شعاع المجد احمر -  
وسكبت الخمر بين العالين - خمر حب وانطلاق ويقين - ومسحت اعين  
الفجر الوضيه - وشدوت لنسور الوطنيه - ان هذا هو ديني - فاتبوني  
او دعوني - في مروتي - فقد اخترت طريقي - يا رفيقي .

#### ثقافته

هنالك نوعان من الثقافة في الشعر الجزائري - ثقافة داخلية محلية  
واخرى خارجية ونقصد بالثقافة الداخلية جميع المصنجات الروحية  
والمادية التي اخذ عنها الشعر وتلون بها . فهناك مثلا ثقافة المدرسة  
والاسرة والمجتمع والمسجد وثقافة الطبيعة والافكار الحزبية ومبادئ  
الاصلاح التابعة من صميم الواقع الشعبي .

اما الثقافة الخارجية فهي تلك النظريات والمذاهب الادبية وغير الادبية  
التي دخلت الجزائر عن طريق الكتاب والرحلات والإذاعة والصحافة سواء  
كانت هذه الثقافة عربية او غير عربية ..

واذا اردنا ان نعطي صورة قريبة غالبية عن الثقافة في الشعر  
الجزائري فلنا انه كان قليل التاثر بالمذاهب الادبية الصرفة ، ميالا الى  
الاعتدال والحذر في اعتناق كل شيء غير ديني وغير اصلاحي ولذلك لم  
تنجح الرومانتيكية وغيرها في الجزائر بالرغم من وجودها في الشعر  
الفرنسي وفي شعر الشابي في تونس . .

وليس معنى هذا انها لم تدخل الجزائر قط ، لقد دخلت ولكنها كانت  
قليلة الحظ بين الشعراء والادباء على السواء فقد اراد الانتفاع بها كل  
من الطاهر بوشوشي وجاؤل البديوي ولكنها لم يستطيعا لان الاوضاع  
الاجتماعية لم تسعفهما او تعترف لهما بالسلطان ..

ويبدو ان محمد العيد قد تآثر بأفكار جبران وفلسفته الى حد كبير  
سيما في قصائده التالية ( هيجت وجددي - يا ليل - يا قلب - وليت  
نحوك وجهي ) ..

ونحن نجد ان المدرسة الخارجية التي تآثر بها الشعر الجزائري هي  
المدرسة التي كان من روادها شوقي وحافظ والرصافي . وهي مدرسة  
زعماء الشعر الاصلاحي - ان جاز التعبير - او كما يقول العقاد المدرسة  
الوسطى . فقد كانت هذه المدرسة تسير مع النهضة العربية الصاعدة  
وتعبر عن الامم ويفظة الشعوب العربية وتتخذ من الواقع العربي الاسلامي  
موضوعات خصبة تبثها افكارها ومشاعرها ولذلك نستطيع ان نقول ان  
نفس المدرسة الشرقية قد انتقلت الى الجزائر مع فارق واحد بسيط  
هو ان شعراء الجزائر قد البسوها ثوبا محليا وصيفوها بالوان بلادهم .  
ويمثل هذه المدرسة في الجزائر الشعراء محمد العيد ، سخنون ،  
زكريا ، اللقاني ، الغزالي ، العمودي ، الزاهري ، السنوسي ..

ولا نحب هنا ان نلتبس المبررات لاعتناق الشعراء هذه المدرسة فهي  
اوضح من ان نبحت فيها ونجري ورامها غير اننا نقول باختصار ان الفترة  
التي عاشتها الجزائر منذ اوائل القرن العشرين حتى الحرب العالمية الثانية  
كانت تقريبا هي نفسها الفترة التي عاشها الشعب العربي ابان ايشاق  
هذه المدرسة ولذلك نجحت في الجزائر كما نجحت في الشرق لان  
الاوضاع واحدة والاهداف متحدة .

ولعل القارئ قد لاحظ مما سبق مقدار النفوذ الذي تركته تلك  
المدرسة في الشعر الجزائري وستكتفي هنا بنموذج واحد للشاعر  
اللقاني ونرجو من القارئ مقارنته بقصيدة حافظ الشهيرة على لسان  
اللغة العربية ..

يقول الشاعر الجزائري اللقاني عن اللغة العربية :

يا امة ضيعت مجدا لها سلفا طال النداء بنا لو كان يجدينا  
ها هي ام اللقى تمنى لمصرعها ها هي الفاظها تبكي وتبكيينا  
خلطتموها بالفاظ مشوهة ولم تقيموا لها يوما موازيينا  
سارت شبيهة اثواب مرصعة تضم من خرق طمر ملايينا

ومما تجب ملاحظته في هذا الصدد انه بينما تخلفت المدرسة الوسطى  
في الشرق نجد انها ما زالت شابة مهيمنة في المغرب عامة وفي  
الجزائر خاصة وما يزال لها انصارها الذين يرفضون كل تعديل او تطوير  
في القوالب او الاساليب الشعرية وهم لا يكتفون بذلك بل يقفون في وجه  
كل من يحاول الخلاص من تلك القيود ولولا الرغبة في عدم الاستطراد  
لحدثت عن العمل الذي قام به اولئك الانصار حين نشرت اول قصيدة  
متردة ..

وعندنا ان الثقافة الداخلية المحلية تتمثل في اشعار جلول البسدي



وأبو اليقظان والعقوق والساحي والعقبي والعيد أيضا . فمن هؤلاء من يتخذ الطبيعة الجزائرية مادة للاستيحاء ومنهم من يستلهم الواقع العفن الذي يعيشه الشعب . ولكن ليس بينهم من تخصص في ناحية معينة . وأحسب ان الفاريء ينتظر مني ان احده عن الثقافة اللغوية والاجنبية في الشعر الجزائري ، على اني اسارع فأقول انني ما دمت قد ربطت بين هذا الشعر وبين المدرسة الشرقية الوسطى فقد اصبح من الواضح ان هذا الارتباط سيكون لغويا قاليا وموضوعيا بل ربما يكون أعرق في القدم من حيث العبارة واللغة فان رجلا كشكيب ارسلان التحمس للقديم يقول في شعر محمد العيد : « اما قصائد محمد العيد فاني اقرأها المرات العديدة ولا أملها وكلما ذكرتها اجد دائما عذوبتها في فمي فهو يمثل لنا زهر في القرن العشرين »

أما الثقافة الاجنبية فيلاحظ عنها انها قليلة الحظ في الشعر الجزائري وذلك يعود الى ان اكثر الشعراء لا يتقنون غير العربية فاذا كان لديهم رصيد من الثقافة الفرنسية او بالاحرى اللغة الفرنسية فان هذا الرصيد لا يعدو أن يكون مصليا اي رصييدا للشارع والتجارة والاسفار وليس ثقافيا للفكر والمطافة والخيال .

### الشعر بالفرنسية

بحثنا في هذا الموضوع طويلا وسألنا عنه كل من له صلة بالنشاط الثقافي سواء في الجزائر او في فرنسا .. وقد عرفنا أن الانتاج الشعري بالفرنسية قليل بالنسبة للشعر بالعربية وانه حديث السن بحيث لم يكتب فيه غير المتأخرين وانه يعنى بالناحية الاجتماعية والمعيشية للشعب .

وعندنا ان السبب في هذه القلة هو ان المثقفين او المنتجين اتجهوا لاشباع نهمهم الادبي وساروا مع الادب الفرنسي الذي يلاحظ النقاد عنه انه ترك للقصة السيطرة الكاملة على أكثر انتاجه ولذلك كان للجزائر قصاصون بالفرنسية امثال : محمد ديب ، مولود فرعون ، ومعمري ، وكاتب ياسين وغيرهم . ولكن الشعراء بالفرنسية لا يكادون يذكرون . وهناك اسباب اخرى منها ان مجال النشر غير فسيح للشعر بالفرنسية كما هو فسيح للشعر بالعربية سيما اذا كان يتناول اغراضا وطنية .. والنهضة التي حدثت في الجزائر كانت عربية المبادئ والاهداف وكان لها صحافتها وشعاراتها . والصحف بالفرنسية اما ان تكون حزبية او استعمارية وقد يكون الشاعر غير حزبي فيضطر الى السكوت لانه يعرف ان امله في النشر ضعيف ..

ومنها أن الطبقة المتوقفة للشعر في المجتمع الجزائري قليلة وذلك لان هذه الطبقة اما ان تكون ذات لسان عربي وهي تمثل الاغلبية المطلقة ، واما ان تكون ذات لسان فرنسي وهذه لها مشاكلها ومواردها الثقافية الخاصة وليس لاكثرها استعداد للتجاوب مع الروح الوطنية التي كان على الشعر ان يتغنى بها .

وبينما وجد الشعر بالعربية سوقا رائجة وجماهير متحمسة لم يجد الشعر بالفرنسية شيئا من ذلك فانزوى على نفسه ..

ولولا بعض النصوص والاشارات التي تدل على وجود شعر بالفرنسية لما طرحنا هذا الموضوع للبحث اطلاقا .. وهذه هي : ١ - كنت ارى باستمرار قطعا شعرية منشورة في جريدة - الشاب المسلم - التي كانت تصدر بالفرنسية في الجزائر .

٢ - سألت بعض الرفاق في مكتب الجبهة بالقاهرة فدلوني على

وجود شعراء تناولوا الناحية الدرامية مثل الشاعر آية جعفر .  
٣ - سمعت بوجود كتاب مطبوع يحوي نماذج من الشعر الجزائري بالفرنسية .

٤ - قرأت في مجلته ( الكاتب المصري ) - ديسمبر ١٩٤٧ - انها اتصلت بمجلة ( فورج ) التي تصدر بالجزائر ثم قالت عنها انها كراسات ادبية تصدر باللغة الفرنسية وفيها طائفة من الشعر لكتّاب فرنسيين وعرب يقرضون الشعر بالفرنسية .

٥ - قرأت في ( المجلة المصرية - اغسطس ١٩٥٧ - مقالا عن الادب الجزائري كتبه الاستاذ انور عبد الملك ذكر فيه ان ( ديب ) يقرض الشعر واتى له بنموذج .

وليست لدينا النماذج الكافية للحكم على اتجاهات هذا الشعر وموضوعاته واساليبه .

وهذه قصيدة محمد ديب من مقال الاستاذ عبد الملك وعنوانها ( ساعة الجنون ) يقول فيها :

ايها الريح ، ريح الليل القاسية - عودي الى البلاد - التي جئت منها  
وقولي لها عليك السلام - هذا هو الربيع - بين ملتقى الجبال - انه يعد  
ساعات واضحة - فيها العسل وفيها الذرة - وفيها القمح للبشر  
اجمعين .

## القاهرة أبو القاسم سعدالله

### مراجع البحث

- |                                   |                    |
|-----------------------------------|--------------------|
| (١) شعراء الجزائر في العصر الحاضر | الهادي السنوسي     |
| (٢) ديوان الشاعر اليقظان          | ج . ط . ١ . ١ .    |
| (٣) ديوان الشاعر محمد العيد       | مخطوط في جزئين     |
| (٤) هذه هي الجزائر                | احمد توفيق المدني  |
| (٥) النصر للجزائر (ديوان شعر )    | ابو القاسم سعدالله |
| (٦) مجلدات مجلة الشهاب            | من سنة ٣١ - ٣٦     |
| (٧) مجموعات جريدة البصائر         |                    |
| (٨) مجلة الكاتب المصري            | ديسمبر ١٩٤٧        |
| (٩) مجلة المجلة                   | اغسطس ١٩٥٧         |
| (١٠) شروط النهضة                  | مالك بن نبي        |
| (١١) كتب خاصة بعث بها بعض الشعراء |                    |

## مجموعات « الاداب »

لدى الادارة عدد محدود من مجموعات السنوات  
الاربع الاولى من الاداب تباع كما يلي :

مجموعة السنة الاولى	٤٥ ل . ل	٥٠ ل . ل
» الثانية »	٢٥ »	٣٠ »
» الثالثة »	٢٥ »	٣٠ »
» الرابعة »	٢٥ »	٣٠ »